للمتّقي ما لا عين رأت ولا أذنٌ سمعت

وهناك من رَأى أنَّه لما قال تعالى في حقِّ المُجرمِ: إنَّه يطوفُ بين نارٍ وبين حميمٍ آنٍ، وهما نوعانِ، ذَكَرَ لغيره - وهو الخائفُ - جنَّتَينِ في مقابَلة ما ذَكرَ في حقِّ المجرم، لكنَّه ذكر هناك أنَّهم يَطوفون، فيُفارقون عذابًا، ويقعون في الآخرِ، ولم يقل هاهنا: يَطوفون بين الجنَّتينِ، بل جعلَهُمُ اللّهُ تعالى مُلوكًا، وهم فيها يُطافُ عليهم، ولا يُطافُ بهم، احترامًا لهم وإكرامًا في حقِّهم، وأمّا قوله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [محمّد: 15]، وقولُه: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ﴾ [الحِجر: 45]، فإنَّ ذِكْرَ الجنَّة والجنّاتِ لاتِّصالِ أشجارِها ومساكنِها، وعدمِ وقوعِ الفاصلِ بينهما، فصارت كجنَّةٍ واحدة، ولِسَعَتِها وتنوُّعِ أشجارِها وكثرةِ مساكنِها، كأنَّها جنّاتٌ، ولاشتمالِها على ما تَلْتَذُّ به الرّوحُ والجِسمُ كأنَّها جنَّتان، فالكلُّ عائدٌ إلى صفة مدحٍ[1].

بلاغةُ الاعتراضِ، معَ بيانِ المرادِ بالفاءِ والآلاءِ في هذا الموضعِ:

في المسارعةِ بذِكرِ الآلاءِ مبالغةٌ في التَّقريرِ والتَّوبيخِ

جاءتْ جملة: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ معترضةً بين الموصوفِ والصِّفةِ، وهي تكريرٌ لنظائرها المتقدِّمة في السّورةِ، فالفاءُ للتَّفريع على ما تقدَّم منَ الامتنانِ بذكرِ الجزاءِ الحسنِ بامتلاك الجَنَّتينِ، وتخصيصِهما لمن خافَ مقامَ ربِّه، وفي ذلك من الآلاء العظيمةِ والنِّعَم الجزيلة ما يَحثُّ على تقرير الإيمانِ في قلوبِ المحسنينَ، وتوبيخِ العاصينَ المُكَذِّبينَ.

سِرُّ وصفِ الجَنَّتينِ بقَوْلِه: ﴿ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ﴾:

في الوصفِ بالأفنانِ زينةٌ بهيجةٌ ومنظرٌ حَسَنٌ

وصفَ النَّظمُ الجليلُ الجنَّتينِ بأنَّهما ﴿ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ﴾؛ لأنَّ البساتينَ لا يَكمُلُ مدحُها إلّا بكثرةِ الأنواعِ والألوانِ والفُروعِ المشتبكةِ والأغصان[2]، فهذا الوصف في الأصل للزّينةِ والابتهاج؛ لأنَّ الجنّاتِ في الأصل ذواتُ أشجارٍ، والأشجارُ ذواتُ أغصانٍ، والأغصانُ ذواتُ

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 29/ 371.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 181.

أزهارٍ وأثمارٍ، وهي لتَنزُّهِ النّاظرِ، إلّا أنَّ جنَّةَ الدُّنيا لضرورة الحاجةِ، وجنَّةُ الآخرة ليست كالدُّنيا، فلا يكون فيها إلّا ما فيه اللَّذَّة، وأمّا الحاجة؛ فلا[1].

الغرض من التَّنكير والجمع في ﴿أَفْنَانٍ﴾:

أفنانٌ كثيرةٌ ملتفَّةٌ تُبهجُ النّاظرينَ وتُسعدُ قلوبَهم

جاء لفظُ ﴿أَفْنَانٍ﴾ في قولِ اللهِ تعالى: ﴿ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ﴾ جمعًا نَكَرةً للتَّكثير والتَّعظيم والتَّعجيب، ممّا في هَذَينِ البُستانَيْنِ اللَّذينِ وُعِدَ بهما الخائفُ لمقامِ ربِّه.

سِرُّ وصفِ الجَنَّتينِ بجملةٍ اسميَّةٍ ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾:

تقريبُ صفةِ الجنَّتينِ إلى عقولِ الطّائعينَ في الدُّنيا

في قولِ اللهِ تعالى: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾، أضافَ النَّظمُ الكريمُ صفةً أخرَى للجنَّتَين اللَّتَينِ وعدَ اللهُ بهما الخائفَ من مقامِه الجليلِ؛ وذلك لتقريبِ صفة الجنَّتينِ إلى عقولِ البشرِ؛ إذْ ممّا اعتادوه أنَّ الجِنان لا تقوم إلّا بالأنهار الجاريةِ، فمن لوازم الجِنانِ وما فيها من الأفنان النّاضرةِ، أن تجري فيها عيونُ الماءِ، وامتنَّ اللهُ تعالى بجَرَيانِ هذه العيونِ الدّافقةِ في كلّ مكانٍ شاءَ صاحبُها، من الأعالي والأسافل[2]، وعبَّرَ بالجملةِ الاسميَّةِ لإفادةِ الثَّباتِ والاستقرارِ، فهما غير متحوِّلَتَين.

الغَرَضُ من تقديمِ الخَبَرِ ﴿فِيهِمَا﴾ على المبتدأِ ﴿عَيْنَانِ﴾:

اختصاصُ الجنَّتينِ بالعَينَينِ الجاريتَينِ زيادةٌ في النَّعيمِ والإكرامِ

قدَّمَ النَّظمُ الجليلُ الخبرَ ﴿فِيهِمَا﴾؛ لبيانِ اختصاصِ الجنَّتينِ بهاتَينِ العينينِ الجاريتَينِ دون غيرِهما من بساتينِ الجَنَّةِ، ولتوكيدِ اشتمالِ الجَنَّتَينِ عليهما بدلالةِ الظَّرفيَّةِ.

دلالَةُ التَّعبيرِ بالمبتدَأِ مُثَنًّى ﴿عَيْنَانِ﴾:

جاءتْ تثنيةُ ﴿عَيْنَانِ﴾ جاريةً على نحو ما تقدم في تثنية ﴿جَنَّتَانِ﴾، وكذلك تثنيةُ ضميرَي ﴿فِيهِمَا﴾، وضميرِ ﴿تَجْرِيَانِ﴾؛

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 29/ 371.

(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 182، والآلوسيّ، روح المعاني: 14/ 116.

تبعًا لتثنيةِ مَعادِهما في اللَّفظ، وقد تنوَّعتِ الأقوالُ في المرادِ بهما، فقيل: في كلٍّ منهما عينٌ تجري بالماءِ الزُّلال، تُسمّى إحدى العينَين بالتَّسْنيم، والأخرى بالسَّلسَبيل، وقيلَ: إحداهما: من ماءٍ غير آسنٍ، والأخرى: مِن خَمْرٍ لَذَّة للشّاربين[1]، وقيل: هما عينانِ سوى الأنهارِ الأربعةِ التي جاءتْ في قولِه تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى﴾ [محمّد: 15][2].

زيادةُ العطاءِ والنَّعيمِ حتَّى في الماءِ الذي يَسقي الجنَّتَين

الغَرَضُ مِنْ وصفِ العَيْنَينِ بالجملةِ الفِعليَّة بصيغة المضارعِ:

آثر النَّظمُ الجليلُ التَّعبيرَ بصيغةِ المضارعةِ في قولِه: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾؛ للدَّلالةِ على تجدُّدِ جريانِ ماءِ العينَين واستمرارِ هذا الجريانِ، فهما تجريانِ ماءً عذبًا فُراتًا بالزّيادةِ والكرامةِ من اللّه على أهل الجنَّة، وفيه كذلك استحضارٌ لصورةِ الماء الجاري، بما يُبهِجُ النَّفسَ، وفي وصفِ العينَين بالجَريانِ إشارةٌ خفيَّةٌ إلى جريانِ عُيونِ الخائفينَ من مقامِ اللّهِ في الدُّنيا بالدُّموعِ الغزيرةِ الجاريةِ من مخافةِ اللّه[3].

تجدُّدُ جَريانِ العينَينِ واستمرارُ عطائِهما وبَركتِهما للمُحسنينَ

الغرض من حذفِ مفعولِ ﴿تَجْرِيَانِ﴾:

في قولِ اللّهِ تعالى: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾، حذفَ النَّظمُ الجليلُ مفعولَ ﴿تَجْرِيَانِ﴾ لإفادَةِ التعميم، أي: تجريانِ حيثُ شاؤوا من الأعالي والأسافلِ، وقيل: بل الغَرضُ من الحذفِ الإشارةُ إلى أنَّهما تجريانِ دائمًا، فلا تنقطعانِ أبدًا[4].

عمومُ جريانِ العينَينِ حيثُ شاءَ المُنعَّمونَ

دلالةُ الفصلِ بينَ الأفنان، وذِكرِ الفاكهةِ بذِكرِ العينَين:

في قولِ اللّهِ تعالى: ﴿ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٩﴾

(1) الآلوسيّ، روح المعاني: 14/ 116.
(2) محمّد بن العثيمين، تفسير القرآن، من الحجرات إلى الحديد، ص: 319.
(3) القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 17/ 178.
(4) محيي الدّين شيخ زاده، حاشية على تفسير البيضاويّ: 8/ 70.

في الجمعِ بين النَّظرين مراعاةٌ للجانبِ الجماليِّ في الوصف

فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥١﴾ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾، فصَل النَّظمُ الجليلُ بين ذِكرِ الأفنان وبين ذِكرِ الفاكهةِ، بذِكر العينَين الجاريتَين، مع أنَّ الفاكهةَ بالأفنان أنْسَبُ، وذلك لأنَّه لما جَرى ذِكرُ الأفنانِ، وهي مِن جمالِ منظرِ الجنَّةِ، أعقبَ بما هو من محاسنِ الجَنّاتِ، وهو عيونُ الماءِ، جَمعًا للنَّظيرَين، ثمَّ أعقبَ ذلك بما هو من جمال المنظرِ، أي: الفواكه في أفنانها، وهي من مَلذّات الذَّوقِ[1]، أو أنَّ هذا النَّظمَ العجيبَ جارٍ على عادة المُتنعِّمين، فإنَّهم إذا دخلوا البستانَ لا يبادرونَ إلى أكلِ الثِّمارِ، بل يُقَدِّمونَ التَّفَرُّجَ على الأكلِ، كما أنَّ الإنسانَ في بستانِ الدُّنيا لا يأكلُ حتّى يَجوعَ، ويشتهي شهوةً مؤلمةً، فكيف في الجنَّة؟ فذَكَر ما تَتِمُّ به النُّزهةُ، وهو خُضرةُ الأشجارِ، وجريانُ الأنهارِ، ثُم ذكرَ ما يكونُ بعدَ النُّزهةِ، وهو أكلُ الثِّمارِ، فسبحانَ مَن يأتي بالآي بأحسنِ المعاني في أبينِ المباني[2] !.

بلاغةُ الاعتراضِ، معَ بيانِ المرادِ بالفاءِ والآلاءِ في هذا الموضعِ:

في المسارعةِ بذِكرِ الآلاءِ مبالغةٌ في التَّقريرِ والتَّوبيخِ

جاءتْ جملة ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ معترضةً بين الموصوفِ والصِّفةِ، وهي تكريرٌ لنظائرها المتقدِّمة في السّورةِ، فالفاءُ للتَّفريع على ما تقدَّم من الامتنانِ بذِكرِ الجزاءِ الحَسَنِ، بتخصيصِ عينَينِ جاريتَينِ في هاتَين الجَنَّتَينِ اللَّتَين وهبَهما اللهُ لمن خافَ مقامَه الجليل، وفي الآيةِ كذلك امتنانٌ بجريانِ هاتَين العينَينِ؛ لتوفير حظِّ الباصرة، فإنَّ النَّظر إلى الماء الجاري أَجْلَبُ شيءٍ للسُّرور[3]، وفي ذلك من الآلاء العظيمةِ والنِّعم الجزيلة ما يَحُثُّ على تقرير الإيمانِ في قلوبِ المحسنينَ، ويُرغِّبُهم في الطّاعات، وفيها كذلك توبيخٌ للعاصينَ المُكَذِّبينَ، وفي تكرارِ قولِه: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ

(1) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 266.
(2) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 29/ 372.
(3) الكورانيّ، غاية الأماني في تفسير الكلام الرّبانيّ، ص: 65.

رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾، بكثافةٍ تفوقُ تكرارَه في مَوْطِنِ العذابِ، تغليبٌ لجانب الرَّحمة، فقد سرد آياتِ العذاب سردًا، وذكرها جملةً؛ ليَقْصُر ذِكرها، وأمّا الثَّوابُ؛ فقد ذكرَهُ شيئًا فشيئًا؛ لأنَّ ذِكْرَه يَطيبُ للسّامع، وتكرار عَوْدِ الضَّمير إلى الجنس بقوله: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾، و﴿فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ﴾؛ لأنَّ إعادةَ ذِكْر المحبوبِ محبوبَةٌ، والتَّطويلَ بذِكر اللَّذّاتِ مستحْسَنٌ[1].

سِرُّ وصفِ الجَنَّتين بالجملةِ الاسميَّةِ:

دوامُ وجودِ الفاكهةِ بأزواجها المتعدِّدةِ من زيادةِ النَّعيمِ

في قولِ اللّهِ تعالى: ﴿فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ﴾، وصَفَ النَّظمُ الجليلُ الجنَّتَين باشتمالهما على زَوجين من كلِّ نوعٍ من أنواعِ الفاكهةِ، وذلك بعدَ ذِكرِ الأفنانِ الوارفةِ والعُيونِ الجاريةِ، وعبَّرَ بالجملةِ الاسميَّةِ؛ لإفادةِ الثَّباتِ والاستقرارِ، فهذه الفاكهةُ دائمةٌ غيرُ منقطعةٍ، فالآيةُ هاهُنا في معنى قولِه: ﴿وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ۝٣٢ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ۝٣٣﴾ [الواقعة: 32 - 33].

الغَرَضُ مِنْ تقديمِ الجارِّ والمجرورِ ﴿فِيهِمَا﴾:

اختصاصُ الجنَّتَينِ بزوجين من كلِّ نوعٍ من أنواعِ الفاكهةِ

قدَّمَ النَّظمُ الجليلُ الخبرَ ﴿فِيهِمَا﴾ في قولِه: ﴿فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ﴾؛ لبيانِ اختصاصِ الجنَّتَينِ بهاتَينِ العينينِ الجاريَتينِ، فهذه الأزواجُ المتنوِّعة من كلِّ نوعٍ من أنواعِ الفاكهةِ، مَخصوصةٌ بهاتَين الجنَّتينِ دون غيرهما من بساتينِ الجنَّةِ، وفي هذا التَّخصيصِ إظهارٌ لكرامةِ الخائفينَ وعُلوِّ مكانتهم عندَ ربِّهم.

معنى ﴿مِن﴾ ودلالتُها في ﴿مِن كُلِّ﴾:

بيانُ كُنْهِ الفاكهةِ المذكورةِ

جاءتْ ﴿مِن﴾ في قولِ اللّهِ تعالى: ﴿فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ﴾ بَيانيَّةً، فبيَّنتْ كُنْهَ المقصودِ في قولِه: ﴿زَوْجَانِ﴾، وقد قُدِّم الخبرُ المُبيِّنُ على المبتدأ المُبَيَّن؛ لرعايةِ الفاصلةِ[2].

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 29/ 372.
(2) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 266.

الغَرَضُ مِنَ الإضافةِ في ﴿كُلِّ فَٰكِهَةٍ﴾:

جميعُ أصنافِ الفاكهةِ جُزءٌ من نعيمِ صاحبِ الجنَّتَينِ

أضافَ النَّظمُ الجليلُ لفظَ ﴿فَٰكِهَةٍ﴾ إلى لفظِ ﴿كُلِّ﴾ للعمومِ والشُّمولِ والاستغراقِ، فما من فاكهةٍ نعرفُها في الدُّنيا، أو لا نعرفها، إلَّا احتوت الجنَّتانِ على زوجَيْنِ منها؛ إذِ المرادُ: من جميعِ أصنافِ الفواكهِ.

غَرَضُ تَنْكيرِ ﴿فَٰكِهَةٍ﴾:

فاكهةُ الجنَّةِ فاكهةٌ عظيمةُ المتعةِ

عدلَ النَّظْمُ الحكيمُ عن تعريفِ ﴿فَٰكِهَةٍ﴾، فلم يقل: (فيهما مِنْ كُلِّ الفاكِهَة زَوْجانِ)، بل جاء بها نكرةً للتَّعظيمِ، فهي فاكهةٌ عَظيمةُ المتعَةِ، وكذلك فقد أفادَ التَّنكيرُ هاهُنا التَّعميمَ كذلِكَ، حتَّى تَشملَ كُلَّ أنواعِ الفاكهةِ، ما عرفنا منها، وما لم نعرف، كما جاءَ في الحديثِ القدسيِّ، عنْ أبي هُرَيْرَةَ ﷺ قالَ: قالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: «قالَ اللهُ: أعدَدْتُ لِعِبادِيَ الصّالِحينَ ما لا عينٌ رَأتْ، ولا أذنٌ سَمِعَتْ، ولا خَطَرَ عَلى قَلْبِ بَشَرٍ»[1]، كَما أنَّ مفردةَ الفاكهةِ تدلُّ على طيبٍ واستطابةٍ واستطرافٍ، فهي نعمةٌ من اللهِ تعالى؛ زيادةً في تمتُّعِ أهلِ الجَنَّةِ، ومُبالَغةً في حُسنِ استِقبالِهم.

دلالةُ التَّعبيرِ بالمبتدأِ مُثَنًّى ﴿زَوْجَانِ﴾:

التَّثنيةُ إمّا للتَّكثيرِ، أو للتَّفصيلِ

المبتدأُ ﴿زَوْجَانِ﴾ في الآيةِ مُثَنَّى زَوجٍ، الذي هو النَّوعُ، ولمّا كانتْ أنواعُ فواكهِ الجنَّةِ كثيرةً، وليس لكلِّ فاكهة نوعان، فإمّا أن نجعلَ التَّثنيةَ بمعنى الجمعِ، ونجعلَ إيثارَ صيغةِ التَّثنية لمراعاةِ الفاصلةِ، ولأجلِ المزاوجةِ مع نظائرها من قوله: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ إلى هنا، وإمّا أن نجعلَ تثنيةَ ﴿زَوْجَانِ﴾؛ لكون الفواكه بعضها يُؤكلُ رَطبًا، وبعضها يُؤكلُ يابسًا، وذلك مثل: الرُّطَبِ والتَّمرِ، والعنبِ والزَّبيبِ[2]، وقيل: من كلِّ نوعٍ صِنفانِ: معروفٌ، وغريبٌ لم

(1) أخرجه البخاريّ في صحيحه، برقم: (3280).
(2) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 266.

يعرفوه في الدُّنيا[1]، وقيل: أراد تفضيلَ هاتَين الجنَّتين على الجنَّتين اللَّتَين دونَهما، فإنَّه ذَكر هاهُنا عينَين جاريتَين، وذكر ثَمَّ عينَين تنضخان بالماء، والنَّضْخُ دونَ الجَري، فكأنَّه قال: في تَيْنِك الجنَّتين من كلِّ فاكهة نوعٌ، وفي هذه الجنَّة من كلِّ فاكهة نوعانِ[2].

بلاغةُ الاعتراضِ، معَ بيانِ المرادِ بالفاءِ والآلاءِ في هذا الموضعِ:

جاءتْ جملة: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ معترضةً بين الموصوفِ والصِّفةِ، وهي تكريرٌ لنظائرها المُتقدِّمة في السّورةِ، فالفاءُ للتَّفريع على ما تقدَّم من الامتنانِ بذكرِ أنواعِ الفاكهة، وما فيها من لَذَّةِ المَذاقِ والشكلِ، وفي ذلك من الآلاء العظيمةِ والنِّعَم الجزيلةِ ما يحثُّ على تقرير الإيمانِ في قلوبِ المحسنينَ، ويُرَغِّبُهم في الطّاعات، وفيها كذلك توبيخٌ للعاصينَ المُكَذِّبينَ.

في ذِكرِ أصنافِ الفاكهةِ طَيِّبةِ المَذاقِ نعمةٌ عظيمةٌ

سِرُّ تَقييدِ ﴿وَلِمَنْ خَافَ﴾ بالحالِ ﴿مُتَّكِـِٔينَ﴾:

جاءَ قولُ اللّهِ تعالى: ﴿مُتَّكِـِٔينَ﴾ حالًا، وفي توجيهه قولانِ، **الأوَّلُ:** أنَّهُ حالٌ من قولِه تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ﴾، وجيءَ بالحالِ صيغةَ جمعٍ، بمعنى اعتبار صاحب الحالِ، وصلاحيَّةُ لفظِه للواحدِ والمُتَعَدِّدِ، لا باعتبارِ وقوعِ صِلَتِه بصيغةِ الإفرادِ، فإنَّ ذلكَ اعتبارٌ بكون (مَنْ) مفردةَ اللَّفظِ، والمعنى: أُعْطوا الجنانَ، واستقرّوا بها، واتَّكؤوا على فُرُشٍ[3]، **والآخر:** أنَّ عاملَ الحالِ مقدَّرٌ محذوفٌ، أي: يتنَعَّمونَ مُتكئينَ على فُرُشٍ، ودلَّ الكلام على هذا الفعلِ، وهو العاملُ في الحالِ[4]، وفي هذا التَّوجيه معنى لطيفٌ، وذلك أنَّ الآكِلَ إن كان ذليلًا كالخَدَمِ والعبيدِ والغِلمانِ، فإنَّه يأكلُ قائمًا، وإن كان عزيزًا، فإن كان يأكل لدَفعِ الجوعِ؛ فإنَّهُ يأكل قاعدًا، ولا يأكلُ مُتّكِئًا إلّا عزيزٌ

حالُ أهلِ الجنَّتينِ الاستقرارُ والتَّنَعُّمُ على خيرِ حالٍ

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 10/ 68.
(2) القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 17/ 178.
(3) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 267.
(4) مكّي بن أبي طالب، الهداية إلى بلوغ النّهاية: 11/ 7235.

مُتفكِّهٌ ليس عنده جوعٌ يُقْعِدُه للأكل، فالتَّفكُّهُ مناسبٌ للاتِّكاء[1]، وقيل: هو منصوبٌ على الاختصاصِ أو المدح[2].

سِرُّ مجيءِ الحالِ ﴿مُتَّكِـِٔينَ﴾ اسمَ فاعل جمعًا:

جاء الحالُ جمعًا في قوله تعالى: ﴿مُتَّكِـِٔينَ﴾؛ إشارةً إلى أنَّ تنعُّمَ أصحابِ الجِنانِ يتمُّ باجتماعهم وأُنْسِ أحَدِهم بإخوانِه وزوجاتِه وأولادِه، وذلك كما في قولِه تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾﴾ [النساء: 13]، وقولِه: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍۚ كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾﴾ [الطور: 21].

مـــن صـفـــاءِ النَّعيمِ الاجتماعُ بالأهلِ في بسطةٍ ودَعةٍ وراحةِ بالٍ

نُكْتَةُ اختيارِ لَفْظِ ﴿مُتَّكِـِٔينَ﴾ دونَ رَديفاتِها:

آثر النَّظمُ الحكيمُ التَّعبيرَ بلفظِ ﴿مُتَّكِـِٔينَ﴾، في قولِ اللهِ تعالى: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا﴾؛ وذلك لأنَّ الاتِّكاءَ إنَّما هو جِلسةُ الرّاحةِ والتَّرَفِ، والمرادُ هاهُنا أنَّهم ليس لهم شغلٌ سوى النَّعيم، ولا عليهم كُلفةٌ أصلًا[3]، فالمُتَّكأُ من مظاهرِ النِّعمةِ والتَّرفِ في الدُّنيا وفي الآخرة، كما قال تعالى في شأنِ امرأةِ العزيزِ: ﴿وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا﴾ [يوسف: 31]، وقال عن نعيم الآخرة: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍۖ﴾ [الطّور: 20]، فالاتِّكاءِ وسيلةٌ من وسائلِ الرّاحة[4]، بل هو أتمُّ مظاهرِ الدَّعَة والتَّرف، لا تقومُ مقامَه صفةٌ أخرى كالاضطجاعِ؛ لأنَّ الاضطجاعَ يدلُّ على لُصوقٍ بالأرضِ على جنبٍ، في دلالةٍ على الضَّعْفِ والوهَنِ؛ لذلك يُقالُ: ضجَّعَ في الأمرِ؛ إذا قصَّرَ، كأنَّه لم

الاتِّكاءُ في ظلالِ الجِنانِ من أتمِّ مظاهرِ الرّاحةِ والدَّعَةِ

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 29/ 372.
(2) الخطيب ومصلوح والعلوش، التّفصيل في إعراب آيات التّنزيل: 27/ 213.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 16/ 401.
(4) الشّعراويّ، الخواطر: 15/ 9250.

يقُم بهِ، واضطجعَ عنهُ، ورجلٌ ضُجَعَةٌ: عاجزٌ لا يكادُ يبرَحُ[1]؛ لذلكَ آثر النَّظمُ الحكيمُ لفظَ الاتِّكاءِ لما فيهِ من الإشارةِ إلى التَّرَفِ دونَ الوَهَنِ والضَّعْفِ، ولأنَّ الاتِّكاءَ جِلسةُ المتَنَعَّم، وهو جلوسُ تمكُّنٍ واستقرارٍ وراحةٍ، كجُلوس المُلوك على الأسِرَّة[2].

بلاغَةُ اسمِ الفاعِلِ في تَصويرِ فِعلِ الاتِّكاءِ:

ثباتُ حالِ المُنَعَّمينَ واستمرارُ نَعيمِهم في الجنَّةِ

في قولِ اللّهِ تعالى: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍ﴾ استعملَ النَّظمُ الحكيمُ اسمَ الفاعِلِ ﴿مُتَّكِـِٔينَ﴾؛ للدَّلالة على ثباتِ حالِهم واستمرارِ نَعيمِهم في الجنَّة، فلا تعبَ ولا نَصَبَ، بل هم في راحةٍ تامَّةٍ، فلا يُضطَرّونَ للقيامِ، ففيه دلالةٌ على صحَّةِ الجسم وفَراغِ القلبِ[3].

معنى ﴿عَلَىٰ﴾ ودلالتُها في ﴿عَلَىٰ فُرُشٍ﴾:

استعلاءُ أهلِ الجنّاتِ على فُرُشِهم في دَعَةٍ وراحةٍ

جاء حرفُ ﴿عَلَىٰ﴾ في قولِه تعالى: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍ﴾، على أصلِ معناه وهو الاستعلاءُ، فأفاد أنَّ هؤلاءِ المحسنينَ المُنعَّمين في الجَنّاتِ قد استقرّوا على فرُشِهم، على هيئة الاتِّكاءِ، وفيه كذلك تشبيهٌ لتَمَكُّنِهم من هذه الفُرُشِ بتَمَكُّنِ المظروفِ في الظَّرفِ، وإشعارٌ بأنَّ أكثرَ حالِهم الاستقرارُ عليها[4].

الغَرضُ مِنَ التَّعبير بـ﴿فُرُشٍ﴾ جمعًا نَكِرةً:

للمحسنينَ فُرُشٌ كثيرةٌ عظيمةٌ يتَّكِئونَ عليها

جاء لفظُ ﴿فُرُشٍ﴾ جمعًا في قولِه: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍ﴾، والظّاهرُ أنَّ لكلِّ واحدٍ فُرُشًا كثيرةً، لا أن لكلِّ واحدٍ فِراشًا، فلكلِّهم فُرُشٌ عليها كائنون[5]، وفي تنكيرها إشارةٌ إلى عَظَمتها وفخامتِها وحُسنِ إعدادها، فعظَّمها النَّظمُ مخاطبًا للمُكلَّفين بما تحتمل عقولُهم، وإلّا فليس في الجنَّة ما يشبهه على الحقيقة شيءٌ من الدُّنيا[6]، فهي

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (ضجع).
(2) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 268، والسّعديّ، تيسير الكريم الرّحمن، ص: 831.
(3) أبو حيّان، البحر المحيط: 10/ 68.
(4) الشّهاب الخفاجيّ، عناية القاضي وكفاية الرّاضي: 8/ 137.
(5) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 29/ 372.
(6) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 183.

فرُشٌ كثيرةٌ عظيمةٌ فخْمَةٌ طيِّبَةٌ، ولو أُفْرِدَت، فقالَ: (مُتّكِئًا على فراشٍ بطانَتُه من إستبرقٍ)؛ لتوُهِّمَ أنَّه فراشٌ واحدٌ مخصوصٌ دونَ بقيَّةِ الفرُشِ.

سِرُّ وصفِ الفُرُشِ بالجُملةِ الاسميَّةِ ﴿بَطَآئِنُهَا﴾:

دوامُ التَّنعُّمِ بالفُرُشِ الطَّيِّبَةِ المَلْمَسِ، من أماراتِ الاعتناءِ براحةِ المحسنينَ

وصفَ النَّظمُ الجليلُ فُرُشَ الجنَّتينِ بالجملةِ الاسميَّةِ: ﴿بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾؛ لما فيها من إفادَةِ الثَّباتِ والدَّوامِ؛ إشارةً إلى دوامِ التَّنَعُّمِ بهذه الفُرُشِ ذاتِ الملمسِ الطَّيِّبِ؛ إذِ البطائنُ جمعُ بطانة بكسرِ الباء، وهي مشتقَّةٌ من البطنِ، ضدِّ الظَّهرِ، وهي الثَّوب الذي يُجعَل على الفراشِ، والظِّهارةُ: الثَّوبُ الذي يُجْعَل فوقَ البطانةِ؛ ليَظهرَ لرؤيةِ الدّاخلِ للبيت، فتكون الظِّهارةُ أحسنَ من البطانة في الفراشِ الواحدِ، فالمعنى هنا: أنَّ بطائنَ فُرُشِ الجنَّة من إستبرقٍ، فلا تسأل عن ظهائرها، فإنَّها أجودُ من ذلك[1].

الغَرضُ مِنَ الإضافةِ في ﴿بَطَآئِنُهَا﴾:

المبالغةُ في العنايةِ براحةِ المحسنينَ بتفصيلِ ما صُنِعَتْ منه فُرُشُهم

في إضافةِ البطائنِ إلى الضَّميرِ العائدِ على الفُرُشِ في قولِه: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾ دليلٌ على مبلغِ العنايةِ براحةِ المحسنينَ الذين خافوا مقامَ ربِّهم، ففيها تفصيلٌ لما صُنِعَتْ منه هذه الفُرُشِ، فقدِ اعتَنى النَّظمُ بما في باطنِ الفُرُشِ؛ إشارةً إلى غايةِ الفخامةِ والرّاحة في ظواهرها[2].

دلالةُ التَّعبيرِ بالبطائنِ دونَ الظَّهائِرِ:

أمرُ الآخرةِ مبنيٌّ على الإكرامِ والتَّنعيمِ فتكون البطائنُ كالظَّهائرِ

في قولِ اللّهِ تعالى: ﴿بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾ عبَّرَ النَّظمُ بالبطائنِ دون الظَّهائرِ، والأصلُ أن يُعبَّرَ بالظَّهائرِ في مواطنِ الزّينَة، وإنَّما عدل عنها؛ ليَدُلَّ على نهاية شرفِها، فإنَّ ما تكون بطائنُها من الإستبرق تكون ظهائرُها خيرًا منها، وكأنَّه شيءٌ لا يُدركُه البصرُ،

(1) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 269.
(2) الزّمخشريّ، الكشّاف: 4/ 452.

من سندسٍ وهو الدّيباجُ الرَّقيقُ النّاعمُ، وفيه وجهٌ آخرُ معنويٌّ، وهو أنَّ أهلَ الدُّنيا يُظهِرون الزّينة، ولا يتمكَّنون من أن يجعلوا البطائنَ كالظَّهائر؛ لأنَّ غرضَهم إظهارُ الزّينة، والبطائن لا تظهرُ، وإذا انتفى السَّبب؛ انتفى المسبَّبُ، فلمّا لم يحصل في جعل البطائنِ من الدّيباج مقصودُهم، وهو الإظهار؛ تَرَكوه، وفي الآخرة الأمرُ مبنيٌّ على الإكرام والتَّنعيم، فتكون البطائنُ كالظَّهائر، فذكَرَ البطائن[1].

معنى ﴿مِنۡ﴾ ودلالتُها في ﴿مِنۡ إِسۡتَبۡرَقٖۚ﴾:

بيانُ كُنْهِ بطائن الفُرُشِ؛ لبيانِ بالغِ العنايةِ براحتهم

جاءتْ ﴿مِنۡ﴾ في قولِ اللّهِ تعالى: ﴿بَطَآئِنُهَا مِنۡ إِسۡتَبۡرَقٖۚ﴾ بَيانيَّةً، فبيَّنتْ كُنْهَ المقصودِ في قولِه: ﴿بَطَآئِنُهَا﴾، أي: إذا كانت البطانةُ التي تلي الأرضَ هكذا، فما ظنُّكَ بالظَّهارةِ؟ وقيلَ: إذا كانت البطائنُ من إستبرقٍ فما الظّواهرُ؟ قيل: إنَّما وصَفَ لكم بطائنَها؛ لتهتديَ إليها قلوبُكم، فأمّا الظّواهرُ؛ فلا يعلمُها إلّا اللّه، وفي الخبر أنَّ ظَواهِرَها نورٌ يَتَلَألَأُ، وقيل: ﴿بَطَآئِنُهَا مِنۡ إِسۡتَبۡرَقٖۚ﴾، وظَواهِرُها من نورٍ جامدٍ[2].

الغَرض من التَّعبير بـ﴿إِسۡتَبۡرَقٖۚ﴾ ودلالةُ تنكيرِ لفظِه:

في الجنَّتَينِ كلُّ ما هو عجيبٌ لا يخطر ببال

وصفَ النَّظمُ الجليلُ الفُرُشَ بأنَّ ﴿بَطَآئِنُهَا مِنۡ إِسۡتَبۡرَقٖۚ﴾، وقد آثَرَ لفظَ ﴿إِسۡتَبۡرَقٖۚ﴾؛ لما فيه من معنى الحِدَّةِ التي تَبْرُزُ إلى الظّاهر بقوَّةٍ أو اندفاعٍ من عمقِ ما يكتنِفُها[3]؛ إذْ هو صنفٌ رفيعٌ من الدّيباجِ السَّميك، المنسوجِ بخيوطِ الذَّهب، فهو نسيجٌ بالغُ الفخامةِ والبَهاءِ، وفي إيثارِ هذا اللَّفظِ المُعَرَّبِ عن الفارسيَّةِ في قولِ بعضهم[4]، إشارةٌ إلى أنَّ الجنَّتَينِ تشتملانِ على كلِّ ما هو عجيبٌ غريبٌ من وسائلِ الرّاحةِ والدَّعَةِ والتَّرفِ، حتَّى لو كان مستورَدًا مُسْتَجْلَبًا من بلاد فارس في عُرفِ المُتلقّينَ الأوَلِ من العربِ.

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 29/ 372.
(2) القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 17/ 178.
(3) محمد جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصّل: (برق).
(4) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 29/ 373.

معنى الواوِ ودلالتُها في ﴿وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ﴾:

جاءتِ الواوُ في قولِ اللّهِ تعالى: ﴿وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾ حاليَّةً؛ لبيانِ أنَّ ثمرَ الجَنَّتينِ قريبُ التَّناولِ منهم متى شاؤوا، وعلى أيِّ صفةٍ كانوا، كما قال تعالى: ﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [الحاقّة: 23]، وقال سبحانه: ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾﴾ [الإنسان: 14]، أي: لا تمتنع ممَّن تناوَلَها، بل تميل إليه من أغصانها[1].

بيانُ حالِ المتنعِّمينَ ومدى قُربِ النَّعيمِ الشَّهيِّ منهم

بلاغةُ التَّعبيرِ بجناسِ الاشتقاقِ في ﴿وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ﴾:

جاءَ جناسُ الاشتقاقِ في قولِ اللّهِ تعالى: ﴿وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾؛ للإشارةِ إلى مدى قُربِ النَّعيمِ من أصحابِ هذه الجنّاتِ، فالثِّمارُ الدّانيَةُ قريبةٌ إليهم كهذا القُربِ بين لفظي ﴿وَجَنَى﴾ و﴿ٱلْجَنَّتَيْنِ﴾، فتآزرَ الإيقاعُ الصّوتيُّ مع المَلْمَحِ الدَّلاليِّ في تقريبِ صورةِ هذا النَّعيمِ الدّاني لمَن خافوا مقامَ ربِّهم.

تآزرَ الإيقاعُ الصَّوتيُّ مع المَلْمَحِ الدَّلاليِّ في تقريبِ صورةِ هذا النَّعيمِ الدّاني

الغرضُ من التَّعبيرِ بالمصدرِ (جَنَى) بدلًا من اسمِ المفعولِ:

في قولِ اللّهِ تعالى: ﴿وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾ عبَّرَ النَّظمُ الجليلُ باستعمالِ المصدرِ (جَنَى)؛ للدَّلالةِ على اسمِ المفعولِ، وهو المُجْتَنَى من الشَّجرِ، وهو الثَّمرِ نفسُه، أي: ما يُجْتَنَى من أشجارِ الجنَّتَينِ[2]، وعدلَ عن اسمِ المفعولِ إلى المصدرِ؛ ليُفْهِمَ سهولةَ نفسِ المصدرِ، الذَّي هو الاجتناءُ[3].

يُسْرُ اجتناءِ الثِّمارِ للمُتَنَعِّمينَ زيادةٌ في التَّرفِ والدَّعَةِ

الغَرضُ مِنَ الإضافةِ في ﴿وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ﴾:

أضافَ النَّظمُ الجليلُ الجَنَى إلى الجنَّتينِ؛ لبيانِ اختصاصِ هاتَينِ الجنَّتَينِ بهذا الجَنَى الطَّيِّبِ، وفيه إشارةٌ إلى مزيدِ العنايةِ بصاحبِ الجنَّتينِ.

اختصاصُ الجنَّتَينِ بهذا الجنَى الطَّيِّبِ

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 29/ 373.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 8/ 185.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 183.

الغَرضُ مِن التَّعبير بـ ﴿دَانٍ﴾ مادَّةً وصيغةً:

دوامُ قُربِ الثِّمارِ الشَّهيَّةِ في كلِّ لحظةٍ من مظاهرِ العنايةِ

آثَرَ النَّظمُ الجليلُ التَّعبيرَ عن قُربِ الثِّمارِ في الجنَّةِ بلفظِ ﴿دَانٍ﴾؛ لما فيه من معنى القُربِ واليُسرِ؛ إذِ المرادُ أنَّهُ قَريبٌ لا يُعَنّي الجانيَ[1]، وآثرَ التَّعبيرَ به على صيغةِ اسم الفاعلِ؛ للدَّلالةِ على دوامِ هذا القُربِ وثباتِه، فلا يبعدُ عنهم هذا الثَّمَرُ الشَّهيُّ، وإنَّما هو حاضرٌ بينَ أيديهم في كلِّ لحظة، وهم على فُرُشهم، فمتى شاؤوا؛ اقتَطفوا منه[2]، فهو قريبٌ من آخذِه ومُجْتَنيه، يَجْتَنيه كيف يشاءُ، قائمًا وقاعدًا وراقدًا[3].

الإشارةُ إلى فرقٍ ما بين جنَّةِ الدُّنيا وجنَّةِ الآخرة

وكذلك ففي لفظِ ﴿دَانٍ﴾ إشارةٌ إلى أنَّ جنَّة الآخرةِ مخالفةٌ لجنَّة الدُّنيا من ثلاثة أوجه، أحدُها: أنَّ الثَّمرةَ على رؤوس الشَّجرِ في الدُّنيا بعيدةٌ على الإنسان المُتَّكِئ، وفي الجنَّة هوَ مُتّكِئٌ والثَّمرةُ تتدلَّى إليه. ثانيها: أنَّ الإنسانَ في الدُّنيا يسعى إلى الثَّمرةِ، وفي الآخرةِ هي تدنو إليهم، وتدور عليهم. وثالثها: أنَّ الإنسانَ في الدُّنيا؛ إذا قَرُبَ من ثَمَرِ شجرةٍ بَعُدَ عن غيرِها، وثمارُ الجنَّةِ كلُّها تدنو إليهم في وقتٍ واحدٍ، ومكانٍ واحدٍ[4].

معنى الفاءِ ودلالتُها، وبَيانُ المرادِ بـ﴿ءَالَآءِ﴾:

في ذِكرِ أصنافِ الفاكهةِ طيِّبةِ المَذاقِ نعمةٌ عظيمةٌ

جاءتِ الفاءُ في جملة: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾؛ للتَّفريع على ما تقدَّم منَ الامتنانِ بذكرِ حالِ التَّنَعُّم بالاتِّكاءِ على الفُرش الوثيرةِ النّاعمةِ، التي بولِغ في إعدادها لرَفاهيَّة المُتنعِّمينَ كحالِ الملوك، في حالٍ من فراغِ القلب وصحَّةِ الجسدِ، وقُربِ الثِّمارِ الشَّهيَّةِ، وفي ذلك من الآلاء العظيمةِ والنِّعم الجزيلة ما يَحثُّ على تقرير الإيمانِ في قلوبِ المحسنينَ، ويُرغِّبُهم في الطّاعات، وفيها كذلك توبيخٌ للعاصينَ المُكذِّبينَ.

(1) أبو عُبيدة، مجاز القرآن: 2/ 245.
(2) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 269.
(3) مكّي بن أبي طالب، الهداية إلى بلوغ النّهاية: 11/ 7236.
(4) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 27/ 374، وابن عادل، اللّباب في علوم الكتاب: 18/ 348.

سِرُّ وصفِ الجَنَّتينِ بالجملةِ الاسميَّةِ ﴿فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ﴾:

التَّنعُّمُ بالحورِ العينِ لَذَّةٌ ملازمةٌ في الجنَّةِ

جاءَتِ الجملةُ الاسميَّةُ في قولِ اللهِ تعالى: ﴿فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ﴾؛ للدَّلالةِ على دوامِ وجودِ هؤلاءِ الحورِ العينِ في فُرُشِ المتنعِّمينَ في الجنَّةِ، بعدَ أنْ ذكرَ نعمةَ التَّمتُّعِ بالأفنانِ الباسقةِ، والعيونِ الجاريةِ، فليست هذه اللَّذَّةُ مقطوعةً ولا ممنوعةً، بل هي لَذَّةٌ مُلازمةٌ دائمةٌ.

مَوقِعُ جُملةِ ﴿فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ﴾ بينَ الصِّفةِ والاستئنافِ:

الجملةُ إمّا بيانٌ لنعمةٍ أُخرى، أو هي زيادةٌ في وصفِ النَّعيمِ

ذهبَ المُعْرِبونَ إلى أنَّ جملةَ: ﴿فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ﴾ استئنافٌ بيانيٌّ، لا محلَّ لها من الإعرابِ، وذهب فريقٌ منهم إلى أنَّها صفةٌ أخرى لـ﴿فُرُشٍ﴾[1]، وعلى الأوَّلِ: فقد استأنفَ النَّظمُ الجليلُ الحديثَ عن نعمةٍ أخرى من نِعَمِ أهلِ الجنّاتِ، وهي التَّنَعُّمُ بالحورِ العينِ قاصراتِ الطَّرفِ، وعلى الثّاني: فهي صفةٌ لما في الفُرُشِ من النَّعيمِ العظيمِ براحةِ البَدنِ على هذه الفُرشِ الوثيرةِ، وراحةِ النَّفسِ ولَذَّتِها بمواقَعَةِ الحورِ العينِ في هذه الفُرشِ الباهرةِ.

الغَرَضُ من تقديمِ الخبرِ شبهِ الجملةِ ﴿فِيهِنَّ﴾:

اختصاصُ الجنّاتِ أو الفُرُشِ بقاصراتِ الطَّرْفِ

قدَّمَ النَّظمُ الجليلُ شِبهَ الجملةِ في قولِ اللهِ تعالى: ﴿فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ﴾؛ للدَّلالةِ على الاختصاصِ، فهو إمّا اختصاصُ هذه الجنّاتِ - التي وعدَ اللهُ كلَّ خائفٍ بجنَّتَينِ منها - بقاصراتِ الطَّرْفِ، وإمّا اختصاصُ هذه الفُرشِ الوثيرةِ النّاعمةِ بقاصراتِ الطَّرفِ اللّائي وعدَ اللهُ بهنَّ الخائفينَ من مقامِهِ.

دلالةُ استعمالِ حرفِ الظَّرفيَّةِ:

احتَوت الفُرُشُ قاصراتِ الطَّرفِ والمحسنينَ

جاءَ استعمالُ حرفِ ﴿فِيهِنَّ﴾ الدّالِّ على الظَّرفيَّةِ؛ لإفادَةِ معنى التَّضَمُّنِ والاحتواءِ، فكأنَّ الجنّاتِ أو الفُرُشَ قد احتَوت هؤلاءِ المُتَّقينَ

(1) الخطيب ومصلوح والعلوش، التّفصيل في إعراب آيات التّنزيل: 27/ 215.

وشمِلَتهُم فيها، فهُم مغموسونَ في النَّعيمِ ظاهرًا وباطِنًا، لا يَنْفَكّونَ عنِ التَّلذُّذِ بهذا النَّعيمِ المُقيمِ والرّاحَةِ التّامَّة، وقيل: إنَّ (في) هاهُنا بمعنى (على)، والمعنى: على الفرش حورٌ قاصراتُ الطَّرف[1].

دلالةُ التَّعبيرِ بضمير الجمع في ﴿فِيهِنَّ﴾، مع أنَّه وصفٌ للمُثَنَّى:

في عودِ الضَّميرِ جمعًا على الفُرُشِ تكثيرٌ لوُجوه النَّعيمِ

تعدَّدَتْ أقوالُ المُعْربينَ في توجيهِ العدولِ عن ضمير المُثَنَّى (فيهما) إلى ضميرِ الجمع ﴿فِيهِنَّ﴾، **القولُ الأوَّلُ**: أنَّ الضَّميرَ في ﴿فِيهِنَّ﴾ عائدٌ على الجِنانِ الدّالِّ عليهنَّ ﴿جَنَّتَانِ﴾؛ إذ كلُّ فردٍ له جنَّتانِ، فصَحَّ أنَّها جِنانٌ كثيرةٌ، **والقولُ الثّاني**: أنَّ الضَّميرَ يعودُ على ما اشتملتْ عليه الجنَّتانِ من المجالسِ والقُصورِ والمَنازِلِ، **والقولُ الثّالثُ**: أنَّه يُعود على الفُرُشِ، أي: فيهنَّ مُعَدّاتٌ للاستمتاعِ، وهو قول حسنٌ قريبُ المأخذ، **والقولُ الرّابعُ**: أنَّ الضَّميرَ عائدٌ على الآلاءِ المعدودةِ من الجنَّتينِ والعينَينِ والفاكهةِ والجَنى، وفيه بُعْدٌ، **والقولُ الخامسُ**: أنَّ كلَّ موضعٍ من الجنَّةِ جَنَّةٌ، فلذلك قال: ﴿فِيهِنَّ﴾[2]، أو أنَّ عودَ الضَّمير إلى ﴿فُرُشٍ﴾ أرجحُ، وهو سببُ تأخيرِ نعيم أهلِ الجنَّة بلذَّةِ التَّأنُّسِ بالنِّساءِ عمّا في الجنّاتِ من الأفنانِ والعُيونِ والفَواكهِ والفُرُشِ؛ ليكونَ ذِكرُ الفُرُشِ مُناسِبًا للانتقالِ إلى الأوانسِ في تلكَ الفُرُشِ، وليَجيءَ هذا الضَّميرُ مفيدًا معنًى كثيرًا من لفظٍ قليلٍ، وذلكَ من خصائصِ التَّرتيبِ من هذا التَّركيبِ[3].

الغرض من حذفِ موصوفِ ﴿قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾:

صفةُ (قاصِرِ الطَّرفِ) لا تُعْرَفُ إلّا في الكاملاتِ من النِّساءِ

في قولِ اللّهِ تعالى: ﴿فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾ حذفَ البيانُ القرآنيُّ موصوفَ ﴿قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾؛ إذْ إنَّ ﴿قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾ صفةٌ لموصوفٍ محذوفٍ، أي: نساءٌ قاصراتُ النَّظَرِ، ففي حَذفِ

(1) مكّي بن أبي طالب، الهداية إلى بلوغ النّهاية: 11/ 7236، والزّحيليّ، التّفسير المنير: 27/ 225.
(2) أبو حيّان، البحر المحيط: 10/ 69.
(3) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 269.

الموصوفِ إشارةٌ إلى تَمكُّن الصِّفَةِ في الموصوفِ، فلا تكادُ صفةُ (قَصْرِ الطَّرْفِ) تُعْرَفُ إلّا في كاملاتِ الأنوثَةِ من النِّساءِ، وفي ذلكَ مبالغَةٌ في وصفِ أُنوثَتِهِنَّ وحُسنِ تَبَعُّلِهِنَّ لأزواجِهِنَّ.

بَراعَةُ استِعْمالِ وصْفِ ﴿قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾:

اكـتـنـازُ هـذا الوصفِ بالعِفَّةِ والصّيانَةِ والقوَّةِ والمُتْعَةِ والجَمالِ

عبَّرَ النَّظْمُ القرآنيُّ عن جمالِ الحورِ العينِ اللّائي جعلهُنَّ اللّهُ جزاءً للمحسنينَ الخائفينَ، بقَولِ اللّهِ تعالى: ﴿فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾، وقد تعدَّدَت الأنظارُ في فهْمِ المُرادِ بهذا التَّعبيرِ على أقوالٍ[1]، **القولُ الأوَّلُ**: أنَّ هؤلاءِ النِّساءَ الحسانَ يَقتصرُ نظرُهُنَّ على أزواجهنَّ، فلا تَمُدُّ إحداهُنَّ نَظَرها إلى غيرِ بَعْلها، كأنَّها تَحْبِسُ طَرْفَها حَبْسًا، رِضًا به، وفي ذَلِكَ أمْرانِ: الأوَّل: مَدحُ هؤلاء الحورِ العينِ بالعِفَّةِ والصّيانَةِ، فلا يتطلَّعْنَ إلى غَيرِ أزواجِهِنَّ، فلم يَحتَجْنَ إلى التَّذكيرِ بغضِّ البَصَرِ، كما هو الحالُ مَع نساءِ الدُّنيا، وهو أدْعَى لمحبَّةِ أزواجِهِنَّ لهُنَّ، وأسعدُ لِقُلوبِ هؤلاءِ المحسنينَ. والآخرُ: البُشرى لهؤُلاءِ المتَّقينَ بقوَّةِ الباءَةِ وشِدَّةِ الفُحولةِ، حتَّى يُكونوا محلَّ رضا زوجاتِهم، وذهب بعضُهم إلى أنَّ المعنَى أنَّهُنَّ لا يمدُدْنَ أعيُنَهُنَّ إلى ما لا يجوزُ[2]، وهو أيضًا مدحٌ بالعِفَّةِ والصّيانَةِ. **والقولُ الثّاني**: أنَّ المُرادَ أنَّهُن فاتراتُ الطَّرفِ، وهي صفةُ مدحٍ لجمالِ أعيُنِهِنَّ[3]، فهو وصفٌ بالجمالِ والملاحَةِ. **القولُ الثّالثُ**: أنَّ المُرادَ أنَّهُنَّ قاصراتٌ طرفَ أزواجِهِنَّ عَلَيْهِنَّ، فلا ينظرونَ إلى غيرهِنَّ؛ لشِدَّةِ حُسْنِهِنَّ، ولا يَدعُ تَناهي حسنِها وفرطُ جمالِها، طرفَهُ يَطْرِفُ إلى غيرِها[4]، وهو وصفٌ بشِدَّةِ الجمالِ الَّتي تُذهِلُ لُبَّ الرِّجالِ في الآخرةِ، وتُرَغِّبُهم في سلوكِ الطَّريقِ إلى اللّهِ لنَيلِ هذهِ المُتعةِ التي لا نهايةَ لَها، وبهذا

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 29/ 374، والقرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 17/ 179.
(2) السّمين الحلبيّ، عمدة الحفّاظ: (قصر).
(3) السّمين الحلبيّ، عمدة الحفّاظ: (طرف).
(4) البقاعيّ، نظم الدّرر: 16/ 402.

يتَّضِحُ اكتنازُ هذا الوصفِ بالعِفَّةِ والصّيانَةِ والقوَّةِ والمُتعَةِ والجمالِ، كلِّها في آنٍ واحدٍ.

بلاغَةُ التَّعْبيرِ باسمِ الفاعِلِ المَجموعِ جَمْعَ قِلَّةٍ ﴿قَٰصِرَٰتُ﴾:

جمعُ القِلَّةِ أُريدَ به الكثرةُ؛ لأنَّه أشهَرُ وأوضحُ وأرشقُ

جاء التَّعبيرُ في قولِ اللّهِ تعالى: ﴿قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ﴾ باستعمال اسم الفاعلِ المجموعِ جمعَ قِلَّةٍ ﴿قَٰصِرَٰتُ﴾، رغمَ كثرةِ عدَدِ أهلِ الجنَّةِ؛ وذلكَ أنَّه لَمَّا كان سياقُ الامتنانِ مُفْهِمًا كثرةَ المُمْتَنِّ به؛ لا سيَّما إذا كان من العَظيمِ تعالى؛ أتى بجمعِ القِلَّةِ مُريدًا به الكثرةَ؛ لأنَّه أشهرُ وأوضحُ وأرشَقُ من (قَواصِرُ)؛ المشترك بين جمعِ (قاصر)؛ و(قوصَرَّة) بالتَّشديدِ والتَّخفيفِ؛ لوعاءِ التَّمرِ، فقالَ: ﴿قَٰصِرَٰتُ﴾[1]، واستعملَ اسمَ الفاعلِ؛ للدَّلالَةِ على أنَّ هذا الوصفَ ثابتٌ فيهِنَّ لا يتغيَّرُ، ولا يتبدَّلُ.

الغرضُ من إضافةِ ﴿قَٰصِرَٰتُ﴾ للفظِ ﴿ٱلطَّرۡفِ﴾:

دلَّت الإضافَةُ إمّا على المَحبَّةِ أوِ الجَمالِ أو كليهما معًا

في قولِ اللّهِ تعالى: ﴿فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ﴾ جاءت كلمةُ ﴿قَٰصِرَٰتُ﴾ مُسنَدةً إلى ﴿ٱلطَّرۡفِ﴾، والمراد: إضافةُ ﴿قَٰصِرَٰتُ﴾ إلى ضميرِ (هُنَّ)، فهو إسنادٌ حقيقيٌّ، أي: لا يوَجِّهْنَ أنظارَهنَّ إلى غيرِهم، وذلك كنايةٌ عن مَحبَّتِهنَّ لأزواجِهنَّ، ويجوزُ أن يكونَ المعنى: أنَّهنَّ يَقْصُرْنَ أطرافَ أزواجهنَّ عليهِنَّ، فلا تتوجَّهُ أنظارُ أزواجِهنَّ إلى غيرِهنَّ؛ اكتفاءً منهم بحسنِهنَّ؛ كنايَةً عن تمامِ حُسنِهنَّ في أنظارِ أزواجِهنَّ، بحيثُ لا يتعلَّقُ استحسانُهم بغيرهنَّ، فالأطرافُ المقصورةُ أطرافُ أزواجِهنَّ، وإسنادُ ﴿قَٰصِرَٰتُ﴾ إليهنَّ مجازٌ عقليٌّ؛ إذ كانَ حُسْنُهُنَّ سببَ قَصْرِ أطرافِ الأزواجِ، فإنَّهُنَّ مُلابساتٌ سَبَبَ القَصْرِ[2].

بلاغةُ اختيارِ مفردةِ ﴿ٱلطَّرۡفِ﴾:

المجازُ المرسلُ لعلاقةِ المُلازمةِ بين تحريكِ الجَفنِ ولازِمِه

عبَّر النَّظمُ الحكيمُ في قولِ اللّهِ تعالى: ﴿قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ﴾

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 16/ 402.
(2) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 23/ 283.

بمفردةِ ﴿ٱلطَّرۡفِ﴾، والطَّرفُ هو تحريكُ الجُفونِ في النَّظرِ، هذا هو الأصلُ، ثمَّ يُسَمّونَ العينَ الطَّرفَ مجازًا[1]، وعُبِّرَ به عن النَّظرِ؛ إذْ كانَ تحريكُ الجَفْنِ لازمُه النَّظَرُ، وقوله: ﴿قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ﴾ عبارةٌ عن إغضائهنَّ لعِفَّتِهِنَّ[2]، وفي ذلكَ إثارةٌ لعَقْلِ المُتلقّي، وإعمالٌ لخيالِه في فهمِ المعنى المرادِ.

الغرض من تَعْريفِ لَفْظِ ﴿ٱلطَّرۡفِ﴾:

الأطرافُ المقصورَةُ أطرافُهُنَّ

تعريفُ الطَّرفِ تعريفُ الجنسِ الصّادقِ بالكثيرِ، أي: قاصراتُ الأطرافِ، والطَّرْفُ: النَّظرُ بالعينِ، وقصرُ الطَّرفِ: توجيهُهُ إلى منظورٍ غيرِ متعدٍّ، فيجوزُ أن يكونَ المعنى: أنَّهُنَّ قاصراتٌ أطرافَهُنَّ على أزواجِهِنَّ، فالأطرافُ المقصورَةُ أطرافُهُنَّ[3].

الغرض من حذفِ المتعلَّقِ في ﴿فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ﴾:

لا يُتَصَوَّر أنْ تنظرَ الحورُ العينُ إلى غيرِ أزواجهنَّ أصلًا

حذفَ النَّظمُ متعلَّقَ القَصْرِ في قولِ اللهِ تعالى: ﴿فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ﴾؛ إذِ الأصلُ أن يقالَ: قَصَرَ طرفَهُ على كذا، وسِرُّ حَذفِ متعلَّقِ القَصْرِ أنَّهُ معلومٌ لا يُتَصَوَّرُ غيرُه، وهم الأزواجُ[4].

فنُّ الإردافِ في قوله: ﴿فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ﴾:

كلُّ قاصرةِ الطَّرْفِ عفيفةٌ، وليستْ كلُّ عفيفةٍ قاصِرةَ الطَّرفِ

جاءَ في قولِ اللهِ تعالى: ﴿فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ﴾ فنُّ الإردافِ، وهوَ أن يريدَ المتكلِّمُ معنًى، فلا يُعبِّرَ عنه بلفظه الموضوع له، بل بلفظٍ هو رِدْفُ المعنى الخاصِّ وتابعُه، قريب من لفظ المعنى الخاصِّ قُربَ الرَّديفِ من الرِّدفِ، والمعنى في الآية: فيهنَّ عفيفاتٌ قد قَصَرت عِفَّتُهنَّ طَرفَهُنَّ على بعولتِهِنَّ، وعدل عن المعنى الخاصِّ إلى لفظِ الإردافِ؛ لأنَّ كلَّ من عَفَّ غضَّ الطَّرفَ عن الطُّموح، فقد يمتدُّ نظرُ

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (طرف).
(2) الرّاغب، مفردات القرآن: (طرف).
(3) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 23/ 283.
(4) الخطيب ومصلوح والعلوش، التّفصيل في إعراب آيات التّنزيل: 27/ 215.

الإنسانِ إلى شيءٍ وتشتهيه نفسُه، ويَعفُّ عنه مع القدرةِ عليه، لأمرٍ آخرَ، وقَصْرُ طرفِ المرأةِ على بَعْلِها أو قَصْرُ طرفِها حياءً وخَفَرًا، أو قَصْرُ عينَي من يَنْظُرُ إليهنَّ عن النَّظرِ إلى غيرهنَّ، أمرٌ زائدٌ على العِفَّةِ؛ لأنَّ من لا يَطْمَحُ طرفُها لغير بَعْلِها، أو لا يَطْمَحُ حَياءً وخَفَرًا؛ فإنَّها بالضَّرورةِ تكونُ عفيفةً، فكلُّ قاصرةِ الطَّرْفِ عفيفةٌ، وليستْ كلُّ عفيفةٍ قاصرةَ الطَّرفِ، فلذلكَ عدلَ عن اللَّفظِ الخاصِّ إلى لفظِ الإرداف[1].

سِرُّ التَّقييدِ بالجُملةِ الحاليَّةِ ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ﴾:

قيَّدَ النَّظمُ الجليلُ قولَه: ﴿فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾ بالجملةِ الحاليَّةِ: ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ﴾؛ لبيانِ اختصاصِ هؤلاءِ الحورِ العينِ بأزواجهنَّ وحدَهم دونَ غيرهم منَ الخَلْقِ؛ وذلك لأنَّ الاختصاصَ بالمرأة من أعظم المَلذّات، فبرَّأهُنَّ أنْ يُجامِعَهُنَّ، ويتسلَّطَ عليهنَّ أحدٌ من الإنسِ للإنسيّاتِ أو الجنِّ للجنيّاتِ، فكأنَّه قيل: هُنَّ أبكارٌ لم يُخالِطْ موضعَ الطَّمثِ منهنَّ أحدٌ[2]، كما لم يخالطْ أبصارَهنَّ أحدٌ، فجمع لهنَّ بينَ عِفَّةِ البصرِ ونقاءِ الفَرْجِ.

اختصاصُ قاصراتِ الطَّرْفِ بأزواجهنَّ من أعظم اللَّذاتِ

دلالةُ النَّفي بـ﴿لَمْ﴾ في ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ﴾:

استعمل النَّظمُ الحكيمُ في قولِ اللهِ تعالى: ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ﴾ أداةَ النَّفي ﴿لَمْ﴾ دونَ غَيرِها من أدواتِ النَّفي كـ(لَمّا)؛ وذلكَ لأنَّ من خصائصِ النَّفي بـ(لمْ)، أنَّها تَقْلِبُ زَمنَ المضارعِ ماضيًا، فهيَ حرفُ نَفْيٍ وجَزْمٍ وقَلْبٍ، وأنَّ المَنْفيَّ بها قَدْ يَكونُ مُنْقَطِعًا، وقد يكونُ مُتَّصِلًا بالحالِ، وقد يكونُ مستمرًّا[3]، وكذلك فإنَّ النَّفي بـ﴿لَمْ﴾ أوْكَدُ مِن غيرها، وهو في مثل هذا الموضِعِ

التَّوكيدِ المنفيُّ زيادةٌ في اطمئنانِ قلوبِ المحسنينَ بنقائهن

(1) محيي الدّين درويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه: 9/ 416.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 184.
(3) فاضل السّامرائيّ، معاني النّحو: 4/ 9.

أدلُّ على التَّنزيه[1]، ولذا فقد آثَرَ النَّظمُ الجليلُ التَّعبيرَ بهذه الأداةِ لما فيها من توكيدِ النَّفْيِ واستغراقِهِ في الماضي، وهو ما يُفيدُ زيادَةَ اطمئنانِ قلوبِ المحسنينَ بنقاءِ قاصراتِ الطَّرفِ.

دلالةُ التَّعبيرِ عن النِّكاحِ بالطَّمث دونَ المَسِّ:

نِكاحُ الآخرةِ كخَمْرِها صافٍ ممّا يَعْرِضُ لهما في الدُّنيا

في قولِ اللّهِ تعالى: ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ﴾ عبَّرَ النَّظمُ الجليلُ عن النِّكاح بالطَّمثِ دونَ المَسِّ، وسِرُّ ذلك أنَّه عبَّرَ بالكناية في الدُّنيا لمّا كان النِّكاحُ قضاءً للشَّهوةِ، وقد يُضْعِفُ البدنَ، ويمنعُ من العبادةِ، وهو في بعض الأوقاتِ مكروهٌ كالأكلِ الكثيرِ، فذَكَره اللّهُ تعالى بلفظٍ مجازيٍّ مستورٍ في غايةِ الخفاءِ بالكنايةِ؛ إشارةً إلى ما فيه ممّا يُستَحى منه، وأمّا في الآخرة، فقد ذَكَرَهُ بلفظِ الطَّمثِ؛ لأنَّهُ مجرَّدٌ عن وجوهِ القُبحِ، وكيف لا والخمرُ في الجنَّةِ معدودةٌ من اللَّذّات؟ فذَكَرَه بأقربِ الألفاظِ إلى التَّصريح أو بلفظٍ صريحٍ؛ لأنَّ الطَّمثَ أدلُّ مِنَ الجماعِ والوقاعِ؛ لأنَّهما من الجمعِ والوقوعِ؛ إشارةً إلى خُلوِّهِ عن وجوهِ القُبحِ، أو ما يُستَحَى منه في الآخرةِ[2].

الغَرَضُ مِن تقديمِ المفعولِ به على الفاعلِ:

التَّقديمُ للاهتمامِ بالمُتقدِّمِ ولإيجازِ والاختصارِ

قدَّمَ النَّظمُ الحكيمُ ضميرَ المفعولِ بهِ في ﴿يَطْمِثْهُنَّ﴾ على الفاعلِ، وعدلَ عن مقتضى الظّاهر، فلم يقل: (لم يطمث أحدٌ من الإنس ولا الجانِّ إيّاهُنّ)؛ للاهتمامِ بالمتقدِّمِ، وهو الضَّميرُ العائدُ على قاصراتِ الطَّرفِ، ولأنَّ في تقديمهِ اختصارًا وإيجازًا أليقَ بنظمِ القرآنِ وبلاغته.

الغَرَضُ مِنْ تقديمِ الفاعلِ ﴿إِنسٌ﴾ وتنكيرِه:

توكيدُ نقاءِ قاصراتِ الطَّرفِ وتوكيدُ عمومِ النَّفي

في قولِ اللّهِ تعالى: ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ﴾ قدَّمَ البيانُ القرآنيُّ لفظَ ﴿إِنسٌ﴾ على لفظِ ﴿جَآنٌّ﴾؛ لشرفِ الإنسيِّ، ولأنَّ طمثَ

(1) الزّركشيّ، البرهان في علوم القرآن: 2/ 380.
(2) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 29/ 376.

الإنسِ لزوجاتِهم أمرٌ معروفٌ عند كلِّ أحدٍ، بخِلافِ الجِنِّ الذي يرانا، ولا نراه، فلا نعلم عنه شيئًا، وجيءَ بهِ نكرَةً؛ لإفادَةِ العمومِ؛ لتأكيدِ أنَّ هؤلاءِ الحورَ نقيّاتٌ، لم يطمثْهنَّ أحدٌ قطُّ.

الغَرضُ من ذِكرِ الظَّرفِ، وتقديمِه:

نـفـيُ طَـمْـثِ قاصراتِ الطَّرفِ نفيًا مطلقًا على جميعِ الخَلْقِ

قيَّدَ النَّظمُ الجليلُ نفيَ طَمثِ قاصراتِ الطَّرفِ في قولِه: ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ﴾ بالظَّرفِ ﴿قَبْلَهُمْ﴾؛ لأنَّهُ لو قال: (لم يطمثهن إنسٌ ولا جانٌّ)، يكون نفيًا لطَمثِ المؤمنِ إيّاهُن، وليس كذلكَ[1]، وفيه إشارةٌ إلى أنَّ ضمير ﴿قَبْلَهُمْ﴾ للأزواج، وقيل: هو عائدٌ على من عاد عليه الضَّمير في ﴿مُتَّكِـِٔينَ﴾[2]، ولمّا كان المرادُ تعميمَ الزَّمان؛ أسْقَط الجارَّ فقال: ﴿قَبْلَهُمْ﴾، ولم يقل: (مِنْ قَبْلِهم)[3]، وقيل: المرادُ: قبلَ الأزواجِ الإنسيّينِ والجِنّيّين، أي: كلُّ واحدٍ من أفرادِ النَّوعينِ يَجِدُ زوجاتِهِ في الجنَّةِ اللّاتي كُنَّ في الدُّنيا أبكارًا، وإنْ كُنَّ في الدُّنيا ثيّباتٍ، فلم يسبقْه غيرُه على زوجته حتَّى يَجيءَ هو، فيَجدها ثيِّبًا، والزَّوج الإنسيُّ زوجاتُه إنسيّاتٌ، والجِنيُّ زوجاتُهُ جِنّيّاتٌ[4].

دلالةُ العطفِ والتَّنكيرِ في ﴿وَلَا جَآنٌّ﴾:

دفعُ توهُّمِ طَمْثِ قاصراتِ الطَّرفِ مطلقًا

في قولِ اللهِ تعالى: ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ﴾، عطفَ النَّظمُ الجليلُ على نفيِ طَمثِ الإنسِ لقاصراتِ الطَّرفِ، بنفي طَمثِ الجِنِّ لهُنَّ، فجمعَ هذا كُلَّ من يُمكِن منه جِماعٌ[5]، فقوله: ﴿وَلَا جَآنٌّ﴾ تتميمٌ واحتراسٌ، وهو إطنابٌ دعا إليه أنَّ الجنَّةَ دارُ ثوابٍ لصالحِ الإنسِ والجِنِّ، فلمّا ذَكَر ﴿إِنسٌ﴾؛ نَشَأ تَوَهُّمُ أنْ يَمَسَّهُنَ

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 29/ 376.
(2) أبو حيّان، البحر المحيط: 10/ 69، والآلوسيّ، روح المعاني: 14/ 117.
(3) البقاعيّ، نظم الدرر: 19/ 185.
(4) الجَمَل، الفتوحات الإلهيّة على تفسير الجلالين: 7/ 379.
(5) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 185.

جِنٌّ، فدفع ذلك التَّوهُّمَ بهذا الاحتراس[1]، والكلامُ هاهُنا محمولٌ على التَّقسيم، وإعادةُ (لا) في ﴿وَلَا جَآنٌّ﴾؛ للاستقلالِ في النَّفي، وحاصلُهُ: أنَّهُ سلبٌ كُلّيٌّ، لا رفعُ الإيجابِ الكُلّيِّ، والظّاهرُ أنَّ ما أُعِدَّ من الحورِ للإنس والجِنِّ من نوعٍ واحدٍ، ويحتملُ نوعين: الإنسيّات: نوعٌ مناسِبٌ للإنسِ في المزاجِ وسائرِ الكيفيّاتِ، والجِنّيّات: نوعٌ آخرُ مناسِبٌ للجِنِّ في الخَلْقِ والخُلُقِ[2]، والذي يغلبُ على الظَّنِّ أنَّ الإنسيَّ يُعطى من الإنسيّاتِ والحورِ، والجِنيِّ يُعطى من الجنيّاتِ والحورِ، ولا يُعْطَى إنسيٌّ جنيَّةً، ولا جِنيٌّ إنسيَّةً، وما يعطاه المؤمنُ – إنسيًّا كان أو جِنيًّا – من الحور شيءٌ يَليقُ به وتشتهيه نفسُه، وحقيقةٌ تلك النشأةِ وراءَ ما يخطرُ بالبال، واستُدِلَّ بالآية على أنَّ الجنَّ يدخلونَ الجنَّةَ، ويجامِعونَ فيها كالإنسِ، فهُم باقونَ فيها مُنَعَّمينَ كبقاءِ المُعذَّبين منهم في النّارِ[3].

معنى الفاءِ ودلالتُها، وبَيانُ المرادِ بـ﴿ءَالَآءِ﴾ في هذا المَوْضِعِ:

في ذِكرِ قاصراتِ الطَّرفِ وكونِهنَّ أبكارًا لم يَطمِثْهُنَّ أحدٌ، نِعَمٌ عظيمةٌ وآلاءٌ جزيلةٌ

جاءتِ الفاءُ في جملة: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾؛ للتَّفريع على ما تقدَّم منَ الامتنانِ بما وعدَ اللّهُ المُحسنينَ من نكاحِ قاصراتِ الطَّرفِ من الحورِ العينِ، مع الامتنان كذلك بكَونهنَّ أبكارًا لم يَطْمثْهُنَّ أحدٌ من إنسٍ ولا جانٍّ، وفي ذلك ما فيه من الآلاء العظيمةِ والنِّعَمِ الجزيلةِ، فإنَّ في مجرَّد هذا التَّرغيبِ في هذه النِّعمِ نعمةً جليلةً ومِنَّةً عظيمةً؛ لأنَّ به يحصلُ الحِرْصُ على الأعمالِ الصّالحةِ، والفِرارُ من الأعمالِ الطّالحةِ، فكيف بالوصول إلى هذه النِّعم والتَّنعُّم بها في جنّات النَّعيمِ بلا انقطاعٍ ولا زَوالٍ[4].

(1) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 270.
(2) القونويّ، حاشية على تفسير البيضاويّ: 18/ 378.
(3) الآلوسيّ، روح المعاني: 14/ 118.
(4) الشّوكانيّ، فتح القدير: 5/ 170.

سِرُّ تقييدِ ﴿قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ﴾ بالجملةِ الحاليَّةِ:

زيادةُ وصفِ جمالِ قاصراتِ الطَّرفِ وقوَّةِ أنفسِهنَّ وأجسادِهنَّ

قيَّدَ النَّظمُ الجليلُ قولَه: ﴿فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ﴾ بجملةِ: ﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلۡيَاقُوتُ وَٱلۡمَرۡجَانُ﴾، وهذه الجملةُ يجوزُ أنْ تكون نعتًا لـ ﴿قَٰصِرَٰتُ﴾، وأن تكونَ حالًا منها[1]، وقد جاء هذا الوصفُ أو هذه الحالُ بعدَ ما تقدَّم من وصفِ المستَمْتَعِ بهنَّ بالعِزَّةِ والنَّفاسةِ، فزادَه على وجهٍ أفاد أنَّه يكونُ بهنَّ غايةَ ما يكون من سكونِ النَّفسِ وقوَّةِ القلبِ وشِدَّةِ البَدَنِ، واعتدالِ الدَّمِ، وغيرِ ذلك من خواصِّ ما شُبِّهنَ به، وهو ﴿ٱلۡيَاقُوتُ﴾ الذي هو في صفائه بحيثُ يَشِفُّ عن سِلْكِه، وهو جوهرٌ نفيسٌ معروفٌ، و﴿وَٱلۡمَرۡجَانُ﴾ الذي هو أنصَعُ الدُّرِّ بياضًا[2].

بلاغةُ التَّعبيرِ بالتَّشبيهِ، والغَرضُ منهُ:

كثافةُ أوجهِ الجمالِ في المُشَبَّهِ به مبالغةٌ في وصفِ جمالِهن

في تشبيه قاصراتِ الطَّرفِ بالياقوتِ عددٌ من أوجه الشَّبهِ[3]، فهُنَّ يُشْبِهنَ الياقوتَ والمرجانَ في الشَّفافيَّةِ والمَلاسَةِ وجمالِ المَنظرِ وصفاءِ البشرةِ، فيُرى بياضُ ساقِ إحداهنَّ أو مُخُّ ساقِها من وراءِ اللَّحم، أو من وراء سبعينَ حُلَّةً، كما جاء في الأثرِ عَنِ النَّبيِّ ﷺ، قالَ: «يَنْظُرُ إلى وجْهِها في خِدْرِها أصْفى مِنَ المِرْآةِ، وإنَّ أدْنى لُؤْلُؤَةٍ عَلَيْها تُضيءُ ما بَيْنَ المَشْرِقِ والمَغْرِبِ، وأنَّهُ يَكونُ عَلَيْها سَبْعونَ ثَوْبًا يَنْفُذُها بَصَرُهُ؛ حَتّى يوَضِّحَ سوقَها مِن وراءِ ذَلِكَ»[4]، وعَنِ ابْنِ مَسْعودٍ رضي الله عنه قالَ: "إنَّ المَرْأةَ مِنَ الحورِ العينِ يُرَى مُخُّ ساقِها مِن وراءِ اللَّحْمِ والعَظْمِ، مِن تَحْتِ سَبْعينَ حُلَّةً، كَما يُرى الشَّرابُ الأحْمَرُ في الزُّجاجَةِ البَيْضاءِ، وكما يُرى الخيطُ في الياقوتةِ"[5]، والمرادُ بالمرجانِ: إمّا صغار اللُّؤلؤ، وهو أشدُّ بَياضًا، أو الجَوْهَرُ الأبيضُ

(1) السّمين الحلبيّ، الدّرّ المصون: 10/ 183.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 185.
(3) القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 17/ 179، وأبو حيّان، البحر المحيط: 10/ 70، والبقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 185، وابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 270.
(4) أخرجه أحمد في مسنده، برقم: (11715).
(5) أخرجه الطّبرانيّ في الكبير، برقم: (8883)، قال الهيثميّ في مجمع الزوائد: سقط من إسناده رجلان.

المُشْرَبُ بحُمرةٍ[1]، فيُستَفادُ من ذلك أنَّ ألوانَهُنَّ البياضُ والحُمْرةُ على نوعٍ من الإشرابِ، وهو في غاية الإعجابِ من الشُّفوف والصَّفاءِ، وهو مع ذلك ثابتٌ لا يعتريه تغيُّرٌ، ويجوز أن يكون التَّشبيهُ بهما في الصَّفاء واللَّمعان والنَّفاسةِ، ويجوزُ أنْ يكونَ المُرادُ تشبيهَهُنَّ في قوَّةِ النُّفوسِ وسلامتها من الآفاتِ بقوَّةِ الياقوتِ والمرجانِ، فقد قيل: إنَّ الياقوتَ مانعٌ للوَسواس والخَفَقان وضَعْفِ القلب شُرْبًا، وقيل: يَمْنَع جُمود الدَّم تعليقًا[2].

الغَرضُ من تعريفِ المُشَبَّهِ به باللّام ﴿ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾:

عبَّرَ النَّظمُ الجليلُ عن المشبَّهِ بهما مُعرَّفَين باللّام في قولِ اللّهِ تعالى: ﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾؛ للدَّلالةِ على عَراقةِ هذَين الجوهرين في النَّفاسةِ والجمالِ والصَّفاءِ والملاسةِ، وفي التَّعريف كذلك إشارةٌ إلى اشتهارِ هذَين الجوهرين بينَ السّامعينَ، وأنَّهما معيارٌ يُرجَعُ إليه عندهم في كلِّ صفاتِ الجمالِ، ومن هذه المعرفةِ بالياقوتِ والمَرجان سَمَّوا بعضَ نسائِهم بهذا النَّحو من النَّظر، كدُرَّةَ بنتِ أبي لهبٍ، ومَرجانةَ أمِّ سعيد[3].

عراقةُ الياقوتِ والمَرجانِ في الجمالِ والنَّفاسةِ والصَّفاءِ

بلاغةُ التَّدرُّجِ مِنَ العقليِّ إلى الحِسّيِّ:

جاءَ التَّشبيهُ في قولِ اللّهِ تعالى: ﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾؛ لبيانِ صفائِهِنَّ، فبدأ في قولِه: ﴿قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾ بالإشارةِ إلى خُلوصِهنَّ عن القبائح، ثمَّ جاءَ قولُه: ﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾ إشارةً إلى صَفائهنَّ في الجنَّة، فأوَّلُ ما بدأ بالعقليّات، وختم بالحسّيّات، فإنَّ التَّشبيهَ لبيان مشابهة جِسمِهِنَّ للياقوتِ والمرجانِ في الحُمْرة والبياض، فكذلك القولُ فيه؛ إذ قَدَّمَ بيانَ العِفَّةِ على

توكيدُ عِفَّةِ قاصراتِ الطَّرفِ، وامتناعُ لَمْسِهنَّ لغير أزواجِهنَّ

(1) الأزهريّ، تهذيب اللّغة، وابن منظور، لسان العرب: (مرجن).
(2) الجوهريّ، الصّحاح، وابن منظور، لسان العرب، والفيروزابادي، بصائر ذوي التّمييز، والزّبيديّ، تاج العروس: (يقت).
(3) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 5/ 234.

بيانِ الحُسن، ولا يَبْعُدُ أن يقال: هو مؤكِّدٌ لما مضى؛ لأنَّهُنَّ لمّا كُنَّ قاصراتِ الطَّرفِ ممتنعاتٍ عن الاجتماع بالإنسِ والجنِّ لم يَطْمِثْهُنَّ أحدٌ، فهُنَّ كالياقوت الذي يكون في مَعْدِنه، والمَرجانِ المَصونِ في صَدَفِه، لا يكون قد مسَّته يدُ لامسٍ[1].

براعةُ التَّرتيبِ في التَّرغيبِ بالصِّفاتِ:

تـدرُّجُ التَّنعُّمِ بَـدءًا بـراحـةِ الجَسَدِ، وانتهاءً بُمتعةِ الجِماعِ

في قولِ اللهِ تعالى: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشِۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍۚ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾ فِيهِنَّ قَـٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٥٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾، رَتَّبَ البيانُ القرآنيُّ ما أعدَّه اللهُ للخائفينَ المخبتينَ من أفانينِ النَّعيمِ، فبدأ ببيانِ راحةِ الجسدِ، بنعمةِ الاتِّكاءِ على الفُرُشِ الوثيرةِ النّاعمةِ، بعد التَّمتُّعِ بجمالِ الأشجارِ الباسقةِ، والفواكهِ الماتعةِ، إلى بيانِ التَّلَذُّذِ بقاصراتِ الطَّرفِ، وهذا التَّرتيبُ دالٌّ أشدَّ الدّلالةِ على دِقَّةِ مراعاةِ الاحتياجاتِ الإنسانيَّةِ، فإذا استَوْفَى قِسطًا من الرّاحةِ، بعد أنْ نالَ ما اشتهى مِنَ الطَّعامِ والشَّرابِ؛ تَحَرَّكَتْ نفسُه لدواعي الجِماعِ والتَّلَذُّذِ بالنِّساءِ[2].

معنَى الفاءِ ودلالتُها، وبَيانُ المرادِ بـ﴿ءَالَآءِ﴾ في هذا المَوْضِعِ:

خَـلْـقُ قـاصـراتِ الـطَّـرفِ في غـايـةِ الـجـمـالِ والنَّفاسةِ

جاءتِ الفاءُ في جملة: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾؛ للتَّفريعِ على ما تقدَّم مِنَ الامتنانِ بإنشاءِ قاصراتِ الطَّرفِ من الحورِ العينِ على وجهٍ من الكمال والجمال والنَّفاسة، يُشْبِهُ نفاسةَ الياقوت والمَرجان وجمالَهما وصفاءَهما، وفي ذلك من الآلاء العظيمةِ والنِّعم الجزيلة ما فيه؛ فإنَّ نِعَمَه تعالى كلَّها لا يتيسَّر تكذيبُ شيءٍ منها، كائنةً ما كانت، فكيف بهذه النِّعم الجليلة والمِنَن الجزيلة[3] ؟.

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 29/ 377.
(2) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 29/ 377.
(3) الشّوكانيّ، فتح القدير: 5/ 170.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

(يَطْمِثْهُنَّ) و(يَنْكِحُهُنَّ):

الطَّمثُ: النِّكاحُ بالتَّدْميَةِ، والثّاني: المَساسُ[1]، وأصلُ النِّكاحِ للعَقْدِ، ثمَّ استُعيرَ للجِماع[2]، فالمُرادُ بالنِّكاحِ: التَّزَوُّجُ، وهو بذلك حقيقةٌ في العَقْدِ لِحِلِّ المخالَطةِ بعد الإعلان، ومَجازٌ في الوطء؛ لأنَّه سَبَبُه[3]، وقد عبَّرَ النَّظمُ الجليلُ بالطَّمث؛ لأنَّهُ أقربُ الألفاظِ إلى التَّصريح أو بلفظٍ صريحٍ؛ لأنَّ الطَّمثَ أدلُّ من الجماعِ والوقاعِ؛ لأنَّهما من الجَمعِ والوقوعِ؛ إشارةً إلى خُلوِّهِ عن وجوهِ القُبحِ، أو ما يُستَحى منه في الآخِرةِ[4].

الطَّمثُ الافتضاضُ والحيضُ، والنِّكاحُ أصلٌ في العقدِ، ومجازٌ في الوَطْءِ

(1) ابن الجوزيّ، زاد المسير: 4/ 214.
(2) الرّاغب، مفردات القرآن: (نكح).
(3) محمد جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصّل: (نكح).
(4) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 29/ 376.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد التاسع والخمسون،
سورة الرَّحمن من الآية 31 إلى سورة الحدِيد الآية 13
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد التاسع والخمسون، سورة الرَّحمن من الآية 31 إلى سورة الحدِيد الآية 13
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 59 ، 802 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-648-68-0
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 59 : المجلد التاسع والخمسون، سورة الرَّحمن من الآية 31 إلى سورة الحدِيد الآية 13.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-648-68-0
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-7377148 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"